

( وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَنزَلْتُ إِلَيْكُمْ الذِّكْرَ وَإِنِّي لَأَتَّبِعُ مَنِّيَ لَئِيْلَ الْغَافِقِينَ (٥٠) يَا قَوْمِ لَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنِّي أَنزَلْتُ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ وَإِنِّي لَأَتَّبِعُ مَنِّيَ لَئِيْلَ الْغَافِقِينَ (٥١) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢) قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦) فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٥٧) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَا هُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) .

[ هود : ٥٠ - ٦٠ ] .

( وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ) يقول تعالى: وكما أرسلنا إلى قوم نوح نوحًا، كذلك أرسلنا إلى عاد أخاهم هودًا.

- وهذه الأمم يُفصّل الله خبرها على هذه الأمة لتستفيد من ذلك فوائد عظيمة (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ) فيخاف المكدبون للرسول الجاحدون بآيات الله أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك من المثالات، ومن عذاب الله المستأصل المتصل بعذاب النار، وكذلك يُعلّم الناس الآداب، وآداب الدعاة إلى الله في لينهم وعظمتهم، ولين كلامهم، وكرم مخاطبتهم، وعدم بذاتهم وكلامهم بكلام الجاهلين .
- وعاد قبيلة عظيمة، وهؤلاء هم عاد الأولى، الذين ذكرهم الله، وهم أولاد عاد بن إرم الذين كانوا يأوون إلى العمدة في البر، كما قال تعالى (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ \* إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ \* الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ) وذلك لشدة بأسهم وقوتهم، كما قال تعالى (فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) .

وقد كانت مساكنهم باليمن بالأحقاف، وهي جبال الرمل.

قال تعالى (وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّدَىٰ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ).

- قال ابن كثير: هذا فيه فائدة أن مساكنهم كانت باليمن، وأن هودا عليه السلام، دفن هناك، وقد كان من أشرف قومه نسبا؛ لأن الرسل صلوات الله عليهم إنما يبعثهم الله من أفضل القبائل وأشرفهم، ولكن كان قومه كما شدد خلقهم شدد على قلوبهم، وكانوا من أشد الأمم تكديبا للحق؛ ولهذا دعاهم هود عليه السلام، إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى طاعته وتقواه.
- قوله تعالى (أخا هوداً) أي: أخاهم في النسب لا في الدين خلافاً لمن زعم أن أصله ليس منهم.
- قال الرازي: اتفقوا على أن هوداً ما كان أخاً لهم في الدين.
- والسر في التعبير بالأخوة لهم: ليزداد التشنيع عليهم، لأنه منهم يعلمون صدقه وثقته وشرفه.
- قال الألوسي: وحكمة كون النبي يبعث إلى القوم منهم أحم أفهم لقوله من قول غيره وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وشرف أصله.

( قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ ) كل دعوات الرسل هي مضمون (لا إله إلا الله) التي قام عليها أمر السماوات والأرض، وخلق من أجلها الجنة والنار، ولهذا كل رسول يبدأ قومه بالدعاء إليها (ما لكم من إله غيرهُ) أي: ليس لكم معبود

يستحق منكم العبادة غيره، لأنه الخالق الرازق المدبر.

(إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ) الافتراء: الكذب المتعمد الذي لا شبهة لصاحبه في النطق به.

أي: ما أنتم إلا متعمدون للكذب في جعلكم الألوهية لغير الله تعالى .

• وقال في سورة الأعراف (أَفَلَا تَتَّقُونَ) أي: أفلا تخافون عذاب الله فتبتعدوا عن طريق الشرك والضلال لتنجوا من عقابه.

• قال أبو حيان: وفي قوله (أَفَلَا تَتَّقُونَ) استعطاف وتحضيض على تحصيل التقوى، ولما كان ما حل بقوم نوح من أمر الطوفان

واقعة لم يظهر في العالم مثلها قال لهم: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ وواقعة هود كانت مسبقة بواقعة نوح وعهد

الناس قريب بها فافتنى هود بقوله لهم: أَفَلَا تَتَّقُونَ ، والمعنى تعرفون أن قوم نوح لما لم يتقوا الله وعبدوا غيره حل بهم ذلك

العذاب الذي اشتهر خبره في الدنيا، فقلوه: أَفَلَا تَتَّقُونَ إشارة إلى التخويف بتلك الواقعة المشهورة.

( يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ) أي: لَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ أَجْرًا عَلَى مَا أَبْلَغُهُ إِلَيْكُمْ، وَأَنْصَحُكُمْ بِهِ مِنَ الْإِرْشَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ

وَحَدَّهُ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ لَكُمْ سِوَاهُ .

(إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي) أي: مَا أَجْرِي الَّذِي أَطْلُبُ إِلَّا مِنَ الَّذِي فَطَرَنِي، أَي: خَلَقَنِي فَهُوَ الَّذِي يُبَيِّنُنِي عَلَى ذَلِكَ .

• ومقصده من هذا القول، إزالته ما عسى أن يكون قد حاك في نفوسهم، من أنه ما دعاهم إلى ما دعاهم إليه، إلا لأنه رجل

يبتغي منهم الأجر الذي يجعله موسرا فيهم .

• قوله (إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي) كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ \* إِلَّا الَّذِي

فَطَرَنِي).

فقلوه (إلا الذي فطرني) ولم يقل إلا الله لفائدتين:

الأولى: الإشارة إلى علة إفراد الله بالعبادة ، لأنه كما أنه متفرد بالخلق ، فيجب أن ينفرد بالعبادة.

والثانية: الإشارة إلى بطلان عبادة الأصنام ، ولأنها لم تفرمكم حتى تعبدوها ، ففيها تعليل للتوحيد الجامع بين النفي والإثبات.

• قال بعض العلماء: إنما نص الله تعالى على صفة الخلق دون غيرها من الصفات، لأن المشركين كانوا يعترفون أن الله خالقهم،

كما قال تعالى (وَلَيْسَ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) وقال تعالى (وَلَيْسَ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ

خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ).

وقيل: ليذكرهم بذلك نعمته عليهم.

• والله عز وجل ينبه كثيراً على هذا المعنى، ويذكر المشركين بذلك، وأن الخالق هو المستحق للعبادة:

قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ).

وقال تعالى (أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ).

وقال تعالى (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ).

وقال تعالى (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ).

وقال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).

( أَفَلَا تَعْقِلُونَ ) أفلا تعقلون إلى ما أدعوكم إليه ، خاصة وأنه موجب لقبوله ، منتفٍ المانع عن رده .

• ثُمَّ رَعَبَهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِالْخَيْرِ الْعَاجِلِ

( وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ) الاستغفار: طلب المغفرة من الله - تعالى - وعدم المؤاخذه على الخطايا:

والتوبة: العزم على الإقلاع عن الذنب، مع الندم على ما حصل منه في الماضي.

أي : ويا قوم استغفروا ربكم مما فرط منكم من شرك وعصيان، ثم عودوا إليه بالتوبة الصادقة النصوح.

( يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ) أي : يُرْسِلِ السَّمَاءَ أَي: الْمَطَرُ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا أَي: كَثِيرَ الدُّرُورِ، وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ، دَرَّتِ السَّمَاءُ ثِدْرًا وَتَدْرَّرَ فِيهَا مِدْرَارًا، وَكَانَ قَوْمُ هُودٍ أَهْلَ بَسَاتِينٍ وَرَزَعٍ وَعِمَارَةٍ، وَكَانَتْ مَسَاكِينُهُمُ الرِّمَالُ الَّتِي بَيْنَ الشَّامِ وَالْيَمَنِ .

( وَيَرِدْكُمْ قُوَّةٌ إِلَى قُوَّتِكُمْ ) معطوفة على ما قبلها ، أي : وأيضاً إن فعلتم ذلك زادكم الله تعالى عزاً إلى عزكم، وشدة إلى شدتكم التي عرفتم بها، ووهبكم الأموال الطائلة ، والذرية الكثيرة.

( وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ) أي: لَا تُعْرِضُوا عَمَّا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، وَتُقِيمُوا عَلَى الْكُفْرِ مُصْرَبِينَ عَلَيْهِ، وَالْإِجْرَامُ: الْإِثْمُ .

( قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ) يخبر تعالى إخباراً عن قوم هود أنهم قالوا لنبیهم ( مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ) أي: بحجة ولا دلالة ولا وبرهان على ما تدعيه .

● قال ابن عطية : ونفوا أن تكون معجزاته آية بحسب ظنهم وعماهم عن الحق ، كما جعلت قریش القرآن سحراً وشعراً ونحو هذا ، وقد قال رسول الله ﷺ ( ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ) الحديث ، وهذا يقضي بأن هوداً وغيره من الرسل لهم معجزات وإن لم يعين لنا بعضه .

● قال أبو حيان : وقد كذبوا في ذلك وبهتوه كما كذبت قریش في قولهم (لولا أنزل عليه آية من ربه) وقد جاءهم بآيات كثيرة، أو لعماهم عن الحق وعدم نظرهم في الآيات اعتقدوا ما هو آية ليس بآية فقالوا: ما جئتنا ببينة تلجئنا إلى الإيمان، وإلا فهود وغيره من الأنبياء لهم معجزات وإن لم يعين لنا بعضها، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر .

( وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ ) أي: بمجرد قولك : اتركوهم ، نتركهم .

( وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ) بمصدقين .

( إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ) أي : يقولون: ما نظن إلا أن بعض الآلهة أصابك بجنون وخجل في عقلك بسبب نهيك عن عبادتها وعبيك لها .

( قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ ) أي : قال هود ﷺ للظلمة من قومه بعة وثقة إني أشهد الله الذي لا رب سواه على براءتي من عبادتكم لغيره.

( وَأَشْهَدُوا ) وَأَشْهَدُوا أَنْتُمْ أَيْضًا .

( أَيُّ بَرِيءٍ مِمَّا تُشْرِكُونَ . مِنْ دُونِهِ ) على أَيِّ بَرِيءٍ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَصْنَامِ .

أي : على براءتي من كل عبادة تعبدونها لغير الله تعالى لأنها عبادة باطلة ، يحتقرها العقلاء، ويتنزه عنها كل إنسان يحترم نفسه .

( فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ) أي: أنتم وأهنتكم إن كانت حقاً .

( ثُمَّ لَا تُنظَرُونَ ) أي: طرفة عين .

فأنت تراه في هذه الآية الكريمة يعلن احتقاره لأهنتهم، وبراءته من شركهم، واستخفافه .

● وهذا من أعظم الآيات، أن يواجه بهذا الكلام رجل واحد أمة عطاشاً إلى إراقة دمه، يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه ، وأنه يعصمه منهم ، فلا تنشب فيه مخال بهم .

● قال ابن كثير : وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به، وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، بل هي جماد لا تسمع ولا تبصر، ولا توالي ولا تُعادي، وإنما يستحق إخلاص العبادة الله وحده لا شريك له، الذي بيده الملك، وله التصرف، وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه.

● **وقال القرطبي** : قوله تعالى عن هود ( **ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ** ) أي لا تؤخرون ، وهذا القول مع كثرة الأعداء يدل على كمال الثقة بنصر الله تعالى .

وهو من أعلام النبوة ، أن يكون الرسول وحده يقول لقومه : **فَكِيدُونِي جَمِيعًا** .  
وكذلك قال النبي ﷺ لقريش ، وقال نوح ﷺ ( **فَاجْعُوا أَمْرَكُمْ وَأَشْرِكُوا لَكُمْ** ) .

● **وقال ابن القيم** : ... **حَتَّىٰ إِنَّ مِنْ أَخْفَىٰ آيَاتِ الرُّسُلِ آيَاتُ هُودِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَتَّىٰ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ ( يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ) وَمَعَ هَذَا فَيَبِّتُهُ مِنْ أَظْهَرِ الْبَيِّنَاتِ ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ ( إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ . إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْآيَاتِ : أَنَّ رَجُلًا وَاحِدًا يُخَاطَبُ أُمَّةً عَظِيمَةً بِهَذَا الْخِطَابِ ، غَيْرَ حَرَجٍ وَلَا فَرْعٍ ، وَلَا حَوَارٍ ، بَلْ وَاثِقٌ مِمَّا قَالَه جَارِمٌ بِهِ ، قَدْ أَشْهَدَ اللَّهَ أَوَّلًا عَلَىٰ بِرَاءَتِهِ مِنْ دِينِهِمْ ، وَمِمَّا هُمْ عَلَيْهِ إِشْهَادٌ وَاثِقٌ بِهِ ، مُعْتَمِدٌ عَلَيْهِ ، مُعْلِمٌ لِقَوْمِهِ : أَنَّهُ وَلِيُّهُ وَنَاصِرُهُ ، وَأَنَّهُ غَيْرُ مُسَلِّطٍ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِ .**

**ثُمَّ أَشْهَدَهُمْ - إِشْهَادٌ مُجَاهِرٌ لَهُمْ بِالْمُخَالَفَةِ - : أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ دِينِهِمْ وَأَهْلِيَّتِهِمْ ، الَّتِي يُؤَالُونَ عَلَيْهَا وَيُعَادُونَ ، وَيَبْذُلُونَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي نُصْرَتِهَا .**

**ثُمَّ أَكَّدَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ بِالِاسْتِهَانَةِ بِهِمْ ، وَاحْتِقَارِهِمْ وَأَزْدِرَائِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ لَوْ يَجْتَمِعُونَ كُلُّهُمْ عَلَىٰ كَيْدِهِ ، وَشِفَاءِ غَيْظِهِمْ مِنْهُ ، ثُمَّ يُعَاجِلُونَهُ وَلَا يُمְهِلُونَهُ ، وَفِي ضَمَنِ ذَلِكَ : أَنَّهُمْ أَضْعَفُ وَأَعَجْزُ وَأَقْلُبُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنَّكُمْ لَوْ رُمْتُمُوهُ لَأَنْتَقَلِبْتُمْ بِغَيْظِكُمْ مَكْبُوتِينَ مَخْذُولِينَ .**

**ثُمَّ قَرَّرَ دَعْوَتَهُ أَحْسَنَ تَقْرِيرٍ ، وَبَيَّنَّ أَنَّ رَبَّهُ تَعَالَىٰ وَرَبَّهُمْ ، الَّذِي نَوَاصِيَهُمْ بِيَدِهِ : هُوَ وَلِيُّهُ وَوَكِيلُهُ ، الْقَائِمُ بِنُصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ ، وَأَنَّهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، فَلَا يَخْذُلُ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ وَآمَنَ بِهِ ، وَلَا يُشْمِتُ بِهِ أَعْدَاءَهُ ، وَلَا يَكُونُ مَعَهُمْ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ - فِي قَوْلِهِ وَفَعَلِهِ - يَمْتَعُ ذَلِكَ وَيَأْبَاهُ .**

● **وقال الخازن** : ( **قال** ) يعني قال هود مجيباً لهم ( **إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا** ) أي : **واشهدوا أنتم أيضاً علي ( أني بريء مما تشركون من دونه )** يعني هذه الأصنام التي كانوا يعبدونها ( **فكيدوني جميعاً** ) يعني احتالوا في كيدي وضري أنتم وأصنامكم التي تعتقدون أنها تضر وتنفع فإنها لا تضر ولا تنفع ( **ثم لا تنظرون** ) يعني ثم لا تمهلون ، وهذا فيه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وذلك أنه كان وحيداً في قومه فما قال لهم هذه المقالة ولم يهجم ولم يخف منهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت إلا لثقت بالله وتوكله عليه .

● **فائدة** : آيات الأنبياء تنقسم إلى قسمين :

**القسم الأول** : منها ما هو معجز .

كالقرآن الكريم ، وناقاة صالح ، وانشقاق القمر ، والآيات التسع التي أعطاها موسى .

**والقسم الثاني** : ما ليس بمعجز .

مما يعرف بما صدقه ، كالأشياء التي سأل عنها هرقل لأبي سفيان .

( **إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ** ) أي : **إني فوضت أمري إلى الله الذي هو ربي وربكم ، ومالك أمري وأمركم ، والذي لا يقع في هذا الكون شيء الا بإرادته ومشئته .**

وفي قوله ( **رَبِّي وَرَبِّكُمْ** ) مواجهة لهم بالحقيقة التي ينكرونها ، لإفهامهم أن إنكارهم لا قيمة له ، وأنه إنكار عن جحود وعناد.. فهو سبحانه بهم سواء أقبلوا ذلك أم رفضوه .

( **مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا** ) أي : **ما من دابة تدب على وجه الأرض إلا والله تعالى مالكتها وقاهر لها ، وقادر عليها ،**

ومتصرف فيها كما يتصرف المالك في ملكه.

● قال الأزهري : الناصية عند العرب منبت الشعر في مقدم الرأس ويسمى الشعر النابت هناك ناصية باسم منبته .  
واعلم أن العرب إذا وصفوا إنساناً بالذلة والخضوع قالوا : ما ناصية فلان إلا بيد فلان ، أي أنه مطيع له ، لأن كل من أخذت ناصيته فقد قهرته ، وكانوا إذا أسروا الأسير فأرادوا إطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته ليكون ذلك علامة لقهره فخطبوا في القرآن بما يعرفون فقوله ( مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا ) أي ما من حيوان إلا وهو تحت قهره وقدرته ، ومنقاد لقضائه وقدره .  
( إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) أي : على عدل ، وقسط ، وحكمة ، وحمد في قضائه وقدره ، في شرعه وأمره ، وفي جزائه وثوابه وعقابه ، لا تخرج أفعاله عن الصراط المستقيم التي يحمد عليها ويثني عليه بها .

● قال الخازن : يعني إن ربي وإن كان قادراً وأنتم في قبضته كالعبد الذليل فإنه سبحانه وتعالى لا يظلمكم ولا يعمل إلا بالإحسان والإنصاف والعدل فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بعصيانه .

● وقال ابن القيم : أَي مَعَ كَوْنِهِ سُبْحَانَهُ آخِذًا بِنَوَاصِي خَلْقِهِ وَتَصْرِيفِهِمْ كَمَا يَشَاءُ فَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ لَا يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ إِلَّا بِالْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ وَالْإِحْسَانِ وَالرَّحْمَةِ . فَقَوْلُهُ مَاضٍ فِي حُكْمِكَ مُطَابِقٌ لِقَوْلِهِ ( مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا ) وَقَوْلُهُ عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ مُطَابِقٌ لِقَوْلِهِ ( إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) .

● قال ابن القيم : وَلَذَا قَالَ هُوَ لِقَوْمِهِ ( إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) ، وَقَوْلُهُ ( مَاضٍ فِي حُكْمِكَ عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ ) تَضَمَّنَ هَذَا الْكَلَامَ أَمْرَيْنِ :  
أحدهما : إمضاء حكمه في عبده ، والثاني : يتضمَّن حمده وعدله وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ .

وهذا معنى قول نبيه هود ( مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا ) ثُمَّ قَالَ ( إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) أي : مَعَ كَوْنِهِ مَالِكًا قَاهِرًا متصرفًا في عبادته نواصيهم بيده فَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَهُوَ الْعَدْلُ الَّذِي يَتَصَرَّفُ بِهِ فِيهِمْ فَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فِي قَوْلِهِ وَفَعَلَهُ وَقَضَائِهِ وَقَدْرَهُ وَأَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَثَوَابَهُ وَعِقَابَهُ فَخَبِرَهُ كُلَّهُ صِدْقٌ وَقَضَائِهِ كُلَّهُ عَدْلٌ وَأَمْرُهُ كُلُّهُ مَصْلِحَةٌ وَالَّذِي نَهَى عَنْهُ كُلَّهُ وَمُفْسَدَةٌ وَثَوَابَهُ لِمَنْ يَسْتَحِقُّ الثَّوَابَ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ وَعِقَابَهُ لِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ بِعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ .

( فَإِنْ تَوَلَّوْا ) يعني تتولوا بمعنى تعرضوا عن الإيمان بما أرسلت به إليكم .  
( فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ) أي : فقد فعلت ما أمرت به ، وبذلت ما في وسعي ، لأبلغكم ما أرسلني الله به إليكم .  
قال تعالى ( ما على الرسول إلا البلاغ ) .

( وَبَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ) أي : أن ربي غني عنكم ، فلو شاء لأماتكم على كفركم فلقيتم جزاءكم في الآخرة ، وجعل في الأرض خلفاً غيركم ، ولا تضرونه بذلك ، وإنما تضرون أنفسكم .

● نستفيد من هذه الآية : أن معصية العاصين لا تضر الله شيئاً ، كما يفهم منها أن طاعة الطائعين لا تنفع الخالق .

قال ﷺ ( قال تعالى : يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ) .

( إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ) الحفيظ الرقيب الذي يحفظ الأشياء .

● قال ابن كثير : أي شاهد وحافظ لأقوال عباده وأفعالهم ويجزيهم عليها إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .  
( وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ) أي : بإهلاك عاد .

وقد أهلكهم الله بالريح العقيم .

قال تعالى ( فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ) .

وقال تعالى (وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ. مَا تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرِّمِيمِ).  
وقال تعالى (كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذِرِ. إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ. تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ).

وقال تعالى (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ. سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ).

(رِيحاً صَرْصَراً) أي: ريحاً شديدة البرودة، شديدة الصوت. وهي الريح العقيم التي لا نفع فيها كما قال تعالى (وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ. مَا تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرِّمِيمِ).

(العقيم) التي لا تنتج خيراً.

(كالريم) أي: كالشيء البالي الفاني.

(سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً) سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً: أي متتابعات بلا انقطاع مشؤومات نحسات.

(كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) أي: كأنهم جذوع وسيقان النخل التي قطعت رؤوسها الخاوية، الساقط بعضها على بعض

● (خاوية) ميتة منقلعة من منابتها هادمة ساقطة على الأرض فهم أحساد بلا رؤوس.

(نَجِينًا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا) تنجية مصحوبة بِرَحْمَةٍ عَظِيمَةٍ كَائِنَةٍ مِنَّا بسبب إيمانهم وعملهم الصالح.

● قال الخازن : وذلك أن العذاب إذا نزل قد يعم المؤمن والكفار فلما أنجى الله المؤمنين من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه .

● وقال أبو حيان : والظاهر تعلق برحمة منا بقوله : نجينا أي ، نجيناهم بمجرد رحمة من الله لحقتهم ، لا بأعمالهم الصالحة.

أو كنى بالرحمة عن أعمالهم الصالحة ، إذ توفيقهم لها إنما هو بسبب رحمته تعالى إياهم.

● وقال ابن عاشور : والباء في ( برحمة منا ) للسببية ، فكانت رحمة الله بهم سبباً في نجاتهم.

والمراد بالرحمة فضل الله عليهم لأنه لو لم يرحمهم لشملهم الاستئصال فكان نعمة للكافرين وتلوى للمؤمنين.

( وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ) أي : من عذاب ضخم شديد مضاعف ترك هؤلاء الطغاة وراءه صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية.

● ووصف العذاب بأنه غليظ، بهذا التصوير المحسوس، يتناسب كل التناسب مع جو هذه القصة، ومع ما عرف عن قوم هود من ضخامة في الأجسام، ومن تفاخر بالقوة.

قال تعالى ( فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ) .

وكان عذابهم كما جاء في آيات أخرى بالريح العقيم كما تقدم .

● قال بعض العلماء : المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الآخرة ليحصل الفرق بين العذابين والمعنى أنه تعالى كما أنجاهم من عذاب الدنيا كذلك ينجيهم من عذاب الآخرة ووصف عذاب الآخرة بكونه غليظاً لأنه أعظم من عذاب الدنيا .

( وَتِلْكَ عَادٌ ) اسم الإشارة في قوله تعالى ( وَتِلْكَ عَادٌ ... ) يعود إلى القبيلة أو إلى آثارتهم التي خلفوها من بعدهم.

أي : وتلك هي قصة قبيلة عاد مع نبيها هود- عليه السلام- وتلك هي عاقبتها وكانت الإشارة للبعيد تحقيراً لهم، وتوبيخاً من شأنهم بعد أن انتهوا، وبعثوا عن الأنظار والأفكار، وقد كانوا يقولون: من أشد منا قوة.

● قال الخازن : وتلك عاد رده إلى القبيلة وفيه إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيروا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا بما .

( جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ) بيان لجرائمهم التي استحقوا بسببها العذاب الغليظ.

والجحد: الإنكار الشديد للحق الواضح.

وآيات رهم: الحجج والبراهين التي جاء بها الأنبياء من رهم للدلالة على صدقهم.

والجبار: هو الشخص المتعالي المتعظم على الناس، المترفع عن الاستجابة للحق.

● قال الرازي : والمراد من الجبار المرتفع المتمرد العنيد العنود والمعاند ، وهو المنازع المعارض.

● قال القرطبي : العنيد الطاغى الذي لا يقبل الحق ولا يدعن له.

أي : وتلك هي قصة قبيلة عاد مع نبيها، كفروا بآيات رهم الدالة على صدق أنبيائه، وعصوا رسله الذين جاءوا لهدايتهم، واتبع سفلتهم وعوامهم أمر كل رئيس متجبر متكبر معاند منهم، بدون تفكير أو تدبير.

● قال ابن عطية : قوله تعالى (وَعَصَوْا رُسُلَهُ) مع أنهم قد عصوا رسولاً واحداً هو هود عليه السلام، للإشارة إلى أن معصيتهم لهذا الرسول كأنها معصية للرسول جميعاً، لأنهم قد جاءوا برسالة واحدة في جوهرها وهي: عبادة الله تعالى وحده، والتقيد بأوامره ونواهيه.

والإشارة أيضاً إلى ضخامة جرائمهم، وإبراز شناعتها حيث عصوا رسلاً لا رسولاً .

● قال ابن عطية : قوله تعالى (وَعَصَوْا رُسُلَهُ) شنعة عليهم وذلك أن في تكذيب رسول واحد تكذيب سائر الرسل وعصيانهم، إذ النبوات كلها مجمعة على الإيمان بالله والإقرار برؤيته .

● وقال القرطبي : وإنما جمع هاهنا لأن من كذب رسولاً واحداً فقد كفر بجميع الرسل.

● وقال ابن عاشور : لأن تكذيبهم هوداً لم يكن خاصاً بشخصه لأنهم قالوا له ( وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك ) فكل رسول جاء بأمر ترك عبادة الأصنام فهم مكذبون به.

فجميع الأنبياء دعوتهم واحدة. وهي الدعوة إلى توحيد الله وترك الشرك.

ولذلك من كذب واحداً من الرسل فقد كذب جميع الرسل.

ولهذا يقول تعالى في كل قصة (كذبت قوم نوح المرسلين). مع أن قوم نوح لم يأتهم إلا نوح.

وكذلك قال تعالى في عاد (كذبت عاد المرسلين).

وكذلك في ثمود (كذبت ثمود المرسلين).

( وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ) اللعنة: الطرد بإهانة وتحقير.

أي : أنهم هلكوا متبوعين باللعن والطرده من رحمة الله في الدنيا والآخرة.

أي : أن هذه اللعنة تابعة لهم لا تفارقهم ، كما لا يفارق الظل صاحبه ، ولهذا سمي الظل تابعاً .

( وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ) أي : وتلازمهم يوم القيامة .

( أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ) تسجيل لحقيقة حالهم، ودعاء عليهم بدوام الهلاك، وتأکید لسخط الله عليهم.

أي : ألا إن قوم عاد كفروا بنعم رهم عليهم، ألا سحقاً وبعداً لهم عن رحمة الله، جزاء جحودهم للحق، وإصرارهم على الكفر، واستحبابهم العمى على الهدى.

وتكرير حرف التنبيه «ألا» وإعادة لفظ «عاد» للمبالغة في تهويل حالهم وللحض على الاعتبار والاتعاظ بمآلهم.

● قال بعض العلماء : وهذا تنبيه للكفار أن عاداً كفروا رهم ، فأهلكهم الله تعالى ، فاحذروا كيلاً يصيبكم بكفركم ، ما أصابهم بكفرهم ، ويقال ( أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ) يعني : ينادي مناد يوم القيامة ، لإظهار حالهم .

## الفوائد :

- ١- التأكيد على التوحيد وأن جميع الرسل دعوتهم التوحيد.
  - ٢- أن من يخلق هو من يستحق أن يُعبد .
  - ٣- فضل الاستغفار والتوبة وأنها سبب للخيرات وحصول القوة والتمكين .
  - ٤- ما من نبي إلا وجاء قومه بينة تدل على صدقه .
  - ٥- تحدي هود قومه ، وهذا يدل على قوة ثقته بالله تعالى وتوكله عليه .
  - ٦- وجوب التوكل على الله .
  - ٧- أن الأنبياء أعظم الناس توكلًا على ربهم .
  - ٨- وجوب البراءة من الشرك وأهله .
  - ٨- لا أحد يستطيع أن يخرج عن قهر الله وقوته وسلطانه .
  - ٩- أن الله لا يظلم أحداً لكمال عدله .
  - ١٠- أن أحكام الله كلها حكمة وعدل ورحمة .
  - ١١- أن الله أهلك عاداً بالريح العقيم .
  - ١٢- أن هلاك الأمم متنوع ، فكل أمة أهلكت بعقوبة تختلف عن الأخرى لحكمة يريد بها الله.
- كما قال تعالى (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ).
- ١٣ - أن الريح من جنود الله تسير بأمر الله، كما قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) وقال تعالى (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ).
- والرياح: لمن تأملها تدل على قدرة الله وعظيم تدبيره وتصريفه، فمنها ما يكون لنا سهلاً لطيفاً تنعم به الأجسام ومنها ما يكون عنيفاً شديداً يدمر كل شيء كريح عاد (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) وسماها بالريح العقيم، فهي لا تلقح السحاب ولا النبات وإنما تستأصل حتى جعلتهم أعجاز نخل خاوية لا تبق ولا تذر. ومنها ما يكون حاراً ومنها ما يكون بارداً، ومنها ما لها صوت ومنها ما لا صوت لها، ومنها ما يهب من جهة المشرق وهي الصُّبَا ومن جهة المغرب وهي الدبور ومنها الجنوب، ومنها ما يأتي بالنصر، كما فعل الله بالمشركين حيث هزمهم بالريح، ومنها ما يسوق السحاب ومنها ما يلحقه، ومنها ما يلحق النبات، فهي أنواع كثيرة جداً.
- ١٤ - أن الله لا يعاقب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه.
- قال تعالى (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا).
- وقال تعالى (وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَقْدِلَ وَنَخْزَى).
- ١٥- من أساليب الدعوة التذكير بالنعمة .

الأربعاء: ١٤ رمضان ١٤٣٩هـ